المشاكلة
قراءة في المفهوم البلاغي العربي
الكلمة المفتاح: فنية المشاكلة
البحث مستل من رسالة ماجستير

أ.م.د. باسم محمد إبراهيم الفهد رائد حمد خلف كريش
جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية المديرية العامة لتربية ديالى
Abbody2011@yahoo.com Nasaem.alwadi@yahoo.com

الملخص

وُسِمَت هذه الدراسة بـ (المُشاكلة عند البلاغيين . قراءة أسلوبية) لتناقش رؤية العلماء البلاغية للمشاكلة بنوعيها (التحقيقي والتقديري) . فعلى المستوى الصوتي ظهرت فاعلية المشاكلة في الشعر العربي بوضوح. كما ناقشت هذه الدراسة الرؤية البلاغية للمشاكلة عند البلاغيين في إطار المستوى الدلالي، إذ خلصت الدراسة الى نتائج قادت إلى ظهور فوائد للمشاكلة السياقية، مثلت محاولة جادة في الاطار الشعري فقط.

واخيرًا فقد كانت الدراسة مفيدة في اضفاء معاني جديدة تجلت بصورة خفية في التعبير البلاغي عن سياقات محددة.

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، خير المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعدً:

فقد جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ (المشاكلة عند البلاغيين – قراءة أسلوبية) لتسلّط الضوء على الرؤية البلاغية لنوعي المشاكلة في أمثلة من الشعر دلّت عليها دلالة واضحة، وأشارت إلى فوائدها على المستويين الدلالي والصوتي.

وانسجامًا مع طبيعة الدراسة فقد انقسمت على مقدمة ومبحثين وخاتمة مشفوعة بذكر المصادر والمراجع.

سيتناول البحث في المبحث الأول البناء الفني للمشاكلة، وما قيل عن إضافتها إلى البديع المعنوي، ونوعيها التحقيقي والتقديري، وركنيها – أعني اللفظ المشاكِل والمُشاكَل – والتعالق الوظيفي للمشاكلة بين الدرسين اللغوي والبلاغي. أما المبحث الثاني فقد تناول فاعلية المشاكلة على المستويين الدلالي والصوتي في السياق الشعري، من خلال انتقاء أبيات

بعينها. ويجيء مسك الختام مع الخاتمة التي تتضمن أهم النتائج التي خلص إليها البحث. وقد استقى البحث مادته من مصادر ومراجع عدّة منها: الإيضاح للقزويني، والبلاغة الاصطلاحية لقليقلة، والتكرير بين المثير والتأثير لعز الدين السيد وغيرها.

وأخيرًا نسأل الله تعالى التوفيق في هذه الدراسة إلى ما يعود بالنفع العميم إلى المكتبة البلاغية العربية، إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول

البناء الفنّي للمشاكلة

المشاكلة في اللغة: من الفعل (شَاكَلَ)، على وزن (فَاعَلَ)، والفِعلُ الثُلاثيّ (شَكَلَ)، والشَّكلُ المِثْلُ، وشَاكَلَ الشيءُ إذا شابهَهُ وكان مِثلهُ في حالاته، وشَاكَلَ كُلٌّ مِنهُما صاحبهُ إذا ماثَلَهُ، وجاءَ لفظُ (الشّكلِ) في القرآن الكريم بمعنى المِثل والنظير والضّربِ والهيْأة[١]، قال تعالى:﴿وآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾[٢].

أما مفهُومُ المُشاكَلة في اصطلاح البلاغيين، فقد حدّه السّكاكيّ (ت٦٢٦هـ) بقوله: ((هي أن تذكر الشيءَ بلفظ غيره لوقوعه في صحبته))[٣]، وتمثّلَ ببيتٍ من الشّعر يُنسب الى أبي صخرٍ الهُذليّ[٤]:

قالوا: اقترِحْ شيْئًا نُجِدْ لكَ طبخَهُ قلتُ: اطْبُخُوا لـي جُبّةً وقَمِيْصًا

فجاءت ((اطبخُوا)) في عجز البيت للمُشاكلة، بمعنى ((خِيطُوا))، واستدلّ السّكاكيّ ببعض آيات من الذكر الحكيم دون أنْ يُشِر الى نوعي المُشاكلة فيها (التحقيقي والتقديري)، وسار على ذلك المعنى ابنُ مالكٍ (ت٦٧٢هـ)، والقزوينيّ (ت٧٣٩هـ)، والتفتازانيّ (ت٧٩٣هـ)، والحمويّ (ت٨٣٧هـ)، وشرّاحُ التلخيص[٥]، ومن الجدير بالذّكر أن القزوينيّ زاد في التعريف الاصطلاحيّ فذكرَ نوعي المُشاكلة فقال: ((أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقًا أو تقديرًا))[٦]، وأشار الطاهر بن عاشور (ت١٢٨٤هـ) الى علاقة المُشاكلة بالبُنية الفنية للاستعارة، وعللّ لتسميتها بالمُشاكلة فقال:((والمشاكلة من المحسنات البديعية ومرجعها الى الاستعارة، وإنما قصد المشاكلة باعثٌ على الاستعارة، وإنّما سمّاها العلماء المُشاكلةَ لخفاء وجه التشبيه فأغفلوا أن يسمّوها استعارة وسمّوها المُشاكلة، وإنما هي الإتيان بالاستعارة بداعي مشاكلة لفظٍ للفظٍ وقع معه، فإن كان اللفظ المقصود مشاكلته مذكورًا فهي المُشاكلة))[٧]. فرؤية ابن عاشور للمشاكلة على أنها من البديع عمومًا سوى أنّها

فنٌّ قائمٌ بذاته يستقلُّ بمفهومه عن الاستعارة وإن قاربها في الآلية، بينما خالف الدكتور عبيد العزيز قلقيلة رأي البلاغيين بجعلها من المحسنات اللفظية لا المعنوية، ولعلّه في ذلك نظر الى وقعها الإيقاعي في السّياق[٨]. فهناك قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي في اللفظ الذي وقعت فيه المشاكلة، وهذا العنصر المشترك بين الاستعارة والمشاكلة، ولعلّ في الشكل التوضيحي الآتي زيادة بيان لمفهوم المشاكلة:

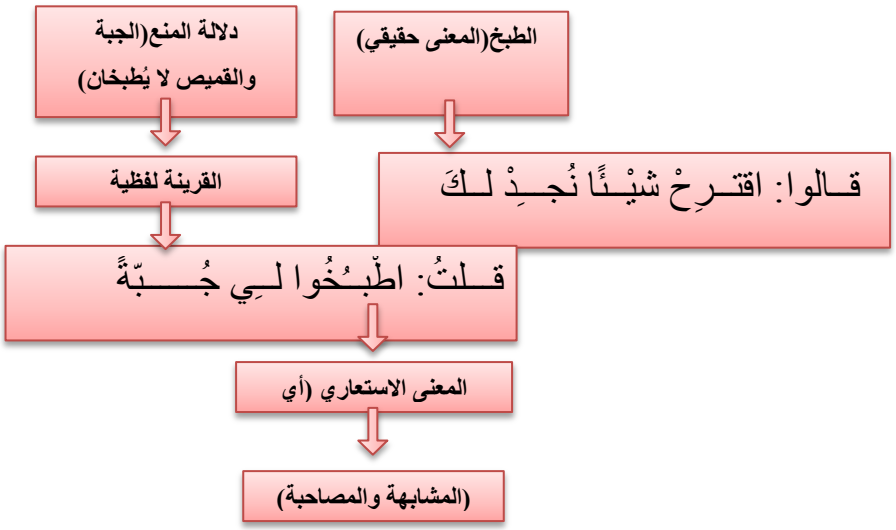

وبما أن المشاكلة تكون بين لفظين تحقيقًا أو تقديرًا فقد وجب فيها الاشتراك اللفظي، وهذا ما لا يقعُ في الاستعارة التي تقوم على آلية المُشابهة الذي يمثّل القيد بالنسبة لها ((مجاز المُشابهة))، والذي نراه الصلة الدلالية والصوتية التي تحملها المشاكلة بوصفها فنًّا بديعيًّا ينتمي الى المحسنات المعنويّة كما ذهب الى ذلك علماء البلاغة القدامى والمعاصرون[٩]، وسوف نقترب من استقلالية كل مفهوم بدلالته السياقية عند الحديث عن فاعلية المشاكلة.

ولمّا كان شرط المشاكلة المغايرة في الدّلالة السّياقية بين اللفظ الأول (المُشاكَل) والثاني (المُشاكِل)، وذلك المعنى هو ما أشار إليه الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) عند تفسيره قوله تعالى:﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[١٠]. :((... لأنّ المُشاكَلة ذِكرُ الشّيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، وهذا لا يُتَصَوَّرُ إلّا إذا تكرّر ذِكرُ لفْظٍ وأُريدَ به في المرة الأولى أصل معناه، وفي الأخرى غير ذلك، كما في قوله تعالى حكاية عن عيسى (عليه السلام)﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[١١].

وتكمنُ بلاغة المُشاكلة . في السّياق . من خلال جمال العبارة، وسموِّ المعنى بما يضفي عنصر المفاجأة من أثر دلالي في اللفظ المشاكل ينماز عن الأول بمعناهُ الذي يُدرَكُ بالتّأملّ والتّفكّر ورسوخ الفهم حتى يستقرّ في الذّهن وترتاح إليه النفس وتستشعر لطائف المشاكلة معه بمزيّة وبدائع يكشف عنها السّياق الذي يرتقي مع النّص الشّعري إلى فاعلية إيقاعية مؤثّرة.

✓ **معنوية المُشاكلة**

عندما نقرأ بيت عَمرو بن كلثوم نتأمل معنويّة المُشاكلة وهي تأتي بصورتين متناقضتين في الدلالة، إلّا أن التّشاكل قائمٌ بينهما شكلًا وايقاعًا، فهو يُنشِدُ مفتخرًا:[١٢]

ألا لا يجْهـــلْــنْ أحــدٌ عَليـــنْا فَنجهلَ فَوقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنـــــــا

وينظرُ إلى معنى الجَهل الحقيقي، وما يقتضيه من معنًى مُعجَميّ بوصفهِ نقيضًا للعلم بالشيء، ثمّ يُصاحِبهُ جهلٌ آخر محمولٌ على المعنى المجازي، فهو ناجمٌ عن الجهل الأول، لذا جاء التعبير عن الجهل مجازًا مقابلة للأول وصدّه، وليس صدّ الجهل جهلًا، بل هو الجزاء على وجه التّحدي والتّضاد والمغايرة.

وليسَ أدلّ من قول شاعرنا الكبير المتنبيّ وهو يعبّر عن معنًى بليغٍ بأفصحِ تعبيرٍ وأبلغه، وأوجزه لفظًا، عن طريق المُشاكلة في قوله:[١٣]

ومَنْ يُنفِق السّاعات في جَمْعِ مالِهِ مَخافــةَ فقرٍ، فالّــذي فـــعلَ الفقرُ

إذ جاء ذكر الفقر الأول على حقيقته، وناسبهُ بالصّحبة أن يُشاكل بفقرٍ آخر ـ على وجه المجاز ـ مع مزيّة التّخييل والإيحاء اللذين يبعثان على تأمّل المعنى البليغ، وسرّ جماله، فذلك البخيل الذي يهدر جلّ وقته وهو يجمع المال، ويظنّ بذلك الخير، غير أنّه بذلك العمل ينشغل عن الإنفاق على نفسه، فكأنّه الفقير المعدم في حاله وصورته، التي صار إليها بسبب بخله، والمُشاكلة ذات دلالة إيحائية تتعلّق بالمعنى وإيضاحه، ولعلّها تقترب ـ في هذا المفهوم ـ من المظاهر البيانية كالاستعارة التي تقوم على علاقة المُشابهة بين المعنيين الأصلي والمجازي، ومجيء اللفظين متصاحبين على طريق التشاكل يُعلل ذلك التقارب بين آليّة الفنّين، وهذا ما جعل بعض المُفسرين يصرّح بتلك العلاقة الدلاليّة بقوله: ((والمُشاكلة من المُحسنات البديعيّة ومرجعها إلى الاستعارة، وإنما قصد المُشاكلة باعثٌ على الاستعارة، وإنما سمّاها العلماءُ المُشاكلة لخفاء وجه التّشبيه، فأغفلوا أن يُسمّوها استعارة، وسَمّوها

المُشاكلة، وإنّما هي الإتيان بالاستعارة لداعي مُشاكلة لفظِ للفظ وقع معه، فإن كان اللفظ المقصود مُشاكلته مذكورًا فهي المُشاكلة)).[١٤]

كما أشار بعضُ المحدثين إلى توافر قرينة معنويّة في تركيب المُشاكلة حتى يظهر المعنى بأسمى ما يكون جاذبية للمتلقي فيحصلُ له من الارتياح والطمأنينة، وهو يصلُ الى قصد المتكلّم، بعد مزيد من التّفكّر والتّأمل والتّدبّر للمعنى السّياقي الذي أتت به المُشاكلة، وهي تُخاطب العقل والوجدان معًا بلطف وتعريضٍ غايةً في التّشكيل الدلالي، يقول الدكتور عبد العزيز قلقيلة وهو يتعرض الى وصف مفهوم المشاكلة : ((وأمن اللبس معوّل فيه على معمول اللفظ الذي تمّت المُشاكلة به، أو على عامله، ولعلّهم أرادوا بذلك القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي للّفظ الذي وقعت به المُشاكلة)).[١٥]

وتنماز المُشاكلة بسمة التوليد المعنويّ، إذ إن ((التعامل مع بنية المُشاكلة يعتمد على أن حركة اللسان تكون فيها أسرع من حركة الذهن على عكس المألوف في انتاج الكلام عمومًا، فالعدول هنا خروجٌ على عدّة مستوياتٍ ينتهي إلى أن تأتي الدلالة من غير مصدرها اللغوي، دون أن يكون في ذلك تمزيقٌ للعلاقة بين الشكل والمضمون)).[١٦]

وبناءً وتأسيسًا على ما تقدّم ذكره، فإن المُغايرة في الدلالة بين اللفظين المُتشاكلين شرطٌ أساسٌ يقوم عليه البناءُ الفنيّ لأسلوب المُشاكلة في السياق، ومن هنا ندركُ إدراجَ البلاغيين المشاكلة في ضمن المحسنات المعنويّة في إطار المنظومة البديعية، ففي المُشاكلة : التلميح، والإشارة، والتعريض، عندما لا يكون لإطلاق اللفظ على المعنى المراد علاقة بين معنى اللفظ، والمعنى المراد، إلّا مُحاكاة اللفظ، ومن هنا جاءت تسميتها بـ (المُشاكلة).[١٧]

✓ نوعا المُشاكلة

ذكر العلماء نوعين من المُشاكلة وأطلقوا عليها(التحقيقية والتقديرية)، دون أن يضعوا لها حدّا، وكان الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) من علماء اللغة الأوائل الذين تحدّثوا عن
المشاكلة بنوعيها وأمثلتها في القران الكريم مما يدلّ على عناية علماء اللغة بهذا الفنّ البديعي، وصلته الوثيقة بالمستوى التركيبي باللغة عموما[١٨]. وبذلك فقد نظر العلماء الى أثري المشاكلة اللغوي والبلاغي ووازنوا بينهما.[١٩]

وخلاصة القول إنهم استدلوا على التفريق بين نوعي المشاكلة من خلال امثلتهما في السياق القرآني والشعري، فاقتصروا على تلك المعرفة بشواهد يسيرة أشبعوها بالدّرس مكررة

دون ان ينظروا الى عنصر التذوق في الاختيار، إذ كان شغلهم الشّاغل هو التّدليل على القاعدة والمنهج اللذين يقوم عليهما نوعا المُشاكلة. بما يعزز رؤيتهم البلاغيّة لهذا المظهر البديعي في السّياق.

✓ **ركنا المُشاكلة**

الأصل في آلية المُشاكلة أن يعدل المتكلّم عن المعنى الأوّل للفظ المشاكل فيأتي اللفظ الثاني . المشاكِل . يجسّد ذلك الأثر البلاغي لهذا الفنّ البديعي، وقد يحصل العكس فيتقدّم اللفظ المُشاكِل على المُشاكَل لما تقتضيه ضرورة السّياق والمعنى المُفاد من المشاكلة.

فالمشاكلة تقع في اللفظ المُشاكِل تقدم أو تأخر، أو قدّر في المعنى كما هي الحال مع المشاكلة التقديرية التي يُلمح فيها اللفظ المشاكَل ضِمنًا في المعنى، ويُدركُ بالعقل والتّأمل والتفكّر والاسترجاع بمعنى يقابل المعنى المذكور بلفظه الدال عليه وقرائن الحال، ولعلّ الغموض الذي يصحب النوع الثاني من المشاكل . أعني التقديرية . يجعل منها أكثر بلاغة، لما تحمل من شحذ الفكر وتحفيز الذكاء والموهبة مع ما توفره من عنصري التشويق للمتلقي والمباغتة حتى تحصل له الأريحية في النهاية.

✓ **التعالُق الوَظيفيّ للمُشاكَلة بين اللّغة والبَلاغة**

درس علماء اللّغة واللّسانيّات مصطلح المُشاكلة على وفق مستويات متنوعة في السياق، فكان أن نظر علماءُ القراءات المشاكلةَ الصّوتية في آي القرآن الكريم عن طريق تفاعل الحروف العربية من جهة تطابق مخارجها أو تقاربها وتماثلها في أغلب الصّفات، وهذا ما جسّدته قراءة أبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) في رواية السّدوسي عنه، في اسكان الحرف والإدغام في الثّاني، فكان يدغم اللّام في اللّام، والباء في الباء، والتّاء في التّاء، وكذلك حروف المُعجم كلّها متحرّكها وساكنها إلّا الواو المضموم ما قبلها، ولا شكّ في أن مذهب أبي عمرو في القراءة لم يخرج عن سنن العرب، والذي يبدو هنا أن القدماء كانوا قد أطلقوا تسمية " الإدغام" على المُشاكلة الصوتية التي أطلق عليها المحدثون . فيما بعد . المُماثلة أو التّشاكل ((Assimilation))[٢٠]. وكذلك التّشاكل الصوتي في الإبدال والإعلال، ومن التّشاكل النحوي ما يحمل على موضوعات الحمل على الجوار من رفعٍ، ونصبٍ، وجرٍ، وجزمٍ، وتتعالق المُشاكلة وظيفيًّا مع بعض المباحث الدلالية كالتّرادف، وكذا درس الإتباع الذي يقتضي التّماثُل في شكل اللفظ وإيقاعه كقولهم : حيّاكَ اللهُ وبيّاك[٢١]،

سوى أن في المُشاكلة البلاغية تتضمّن المغايرة في المعنى بين اللفظين والتكرار اللفظي، وليس تبعية الكلمة للأخرى على سبيل المساواة في المعنى للتقوية، إلّا أن الغاية التزيينية بين الإتباع والمشاكلة أمرٌ مشتركٌ ملحوظٌ.

فالمشاكلة على هذا الأساس فنٌّ أسلوبيٌّ يلقي بظلاله على الدّرس اللّغويّ في مستوياته: الدلاليّة، والنحويّة، والصوتية، ولا ينحصر أثره على المستوى البلاغي فحسب، وقد نال ذلك القبولَ والاستحسان من دارسي اللغة، فضلًا عن البلاغة، ولن يطول المقام في دراسة المشاكلة اللغويّة نظرًا الى طبيعة دراستنا القائمة على التوظيف البلاغي للمُشاكلة بوصفها أسلوبًا بلاغيًّا مؤثّرًا في شعر المتنبيّ، وقد قدّم الدارسون دراسات رائدة في ميدان الدراسة التنظيرية والتطبيقية للمُشاكلة على المستويات اللغوية كافة: الصوتي، والنحوي، والصرفي، والدلالي، ممّا يشبع حاجة القارئ ويغنيه عن الزّيادة.[٢٢]

أما المشاكلة البلاغيّة فهي موضوع دراستنا، ولعلّ دراسة المشاكلة في الشعر تقودنا الى لمس الفائدتين على المستويين الدلالي من جهة المعنى الثاني، الذي ظهر بوصفه إضافة جديدة مبتكرة للسياق الشعري في البيت أو المقطوعة، والفائدة الثانية على المستوى الصوتي من جهة الأثر الايقاعي الذي تتركه المشاكلة . بنوعها التحقيقي . لما تتضمنه من فاعليّة التكرار اللفظي بشكلٍ ملفتٍ للأنظار، منسجمًا مع التأثير الدلالي في نفس المتلقي، متضافرًا معه على نحوٍ جماليٍّ يسيطر على الأسماع والاذهان معًا، ((فإن تكرار الكلمة في الجملة أو النّص، وتكرار الجملة في السّياق، لا بدّ أن يكون له من القيمة ما هو أكبر. وهذا ما يلجأ إليه لأسر المستمعين المطربون وصانعو الألحان، إذا لك يكن الكلام المغنّى حاصلًا على هذا التكرار أصلًا، وحينما تأخذ المستمع نشوة التأثّر، قد ينطلق هو يكرر المسموع إعجابًا به أو تعجيبًا منه أو غير ذلك))[٢٣]، فمزيّة التكرار وفاعليته المؤثّرة في الإحساس تمثّل المعنى بصوت الحرف، وتصور الخفّة، ممّا يتعلق بجرس الكلمات، فالصوت والدلالة بذلك مقترنان متلاحمان.

فالمُشاكلة في بنائها الفني ـ في الدّرس البلاغي ـ قائمة على أساس التكرار المفيد لما تحمله بين طياتها من تخييل حسنٍ لا يخلو من طرافة تعود على المعنى السّياقي، لذلك درسها بعض العلماء في ضمن ظواهر البيان فعدّوها من المجاز عمومًا، والاستعارة على وجه الخصوص، وبالنظر الى جمالية الايقاع وتأثير الجرس الناشئ من التكرار والاعادة

المقصودة للفظ فقد عدّها بعضهم من المحسنات البديعية، وانقسم هؤلاء على أنفسهم، فمن تأمل أثرها على المستوى الدلالي في توليد المعنى السياقي وانحيازها بذلك الى تحسين المعنى أكثر من اللفظ أضافها الى المحسنات المعنوية . وهم الكثرة الغالبة . بحسب رؤيتهم الأسلوبية ووجهة نظرهم، وعدّها البعض الآخر من المحسنات اللفظية، مستندين في ذلك على تأثيرها الإيقاعي، وطبيعة التّماثل بين اللفظين على نحوٍ متّسق جميل، والذي نراه هو ما رآه جمهور البلاغيين قديمهم وحديثهم من الرؤية المعتدلة للمشاكلة على أنها من المحسنات المعنوية لتعالق مفهومها السياقي بين الصورة المجازية تارة، وصورة التكرار اللفظي تارة اخرى، ممّا يجعلها الأقرب إلى التّصوّر الدلالي للفظ، وزيادة الطاقة الإيحائيّة على نحوٍ يُداعبُ الفكر والمُخيّلة حتّى يكون المنشئ في صياغة بيت من الشّعر في المُشاكلة بأحد نوعيها فنانًا مبدعًا يسعى الى توليد معنًى من معنًى، لِما تُحققهُ الصّحبة اللفظيّة بين مفردتين، اسمين كانا، أو فعلين، أو اسم وفعل، أو فعل واسم من أثرٍ بليغٍ في نفس المُتلقّي وشعوره الدّاخليّ، فالمُشاكلة مظهرٌ أسلوبيٌ ذو علاقةٍ استبدالية بالنظر إلى العلاقة فيها بين الدّال والمدلول في التّعبير الشّعريّ، وبالحسّ والملكة فإنّ الإنسان قد يروّض إحساسه الموسيقي ترويضًا ينتهي به إلى إدراك النشوة الفنية بقطعة موسيقية منظومة بلغة قد لا تكون مفهومة لديه.[٢٤]

المبحث الثاني

فاعلية المشاكلة

تنتج فاعلية المشاكلة من خلال الأثر الصوتي الذي تتركه في سياق القول نثرًا كان أو شعرًا، وتتمثّل آلية المشاكلة . في الشعر. ببلاغة ايقاعية مؤثّرة من خلال السمة التكرارية الترددية التي تنتج عنها، فضلًا عن الأثر البليغ للمشاكلة في المستوى الدلالي في توليد المعاني المجازيّة التي يوظّف فيها المُبدعُ عنصر التخييل والمفاجأة، فيأتي بشكل اللفظ الأول مكرّرًا بدلالة إيحائية مغايرة للمعنى الوضعي الحقيقي، مما يعكس تلك الإثارة على نفس المتلقّي، فتداعب عمليّة استكشاف المعنى المُشاكِل مخيّلَتهُ، . أي المتلقّي . وتُحدِثُ الإثارة والانفعال الوجداني لديه، حتّى تستقر صورة المشاكلة في ذهنه، فيلمحُ ما يُرادُ وراءها من معانٍ مُستجلبةٍ بأسلوبٍ مدهشٍ يبعثُ على التّفكّر والتأمّل والانزياح التصوّري، فصورة اللفظ الثاني ـ المُشاكِل ـ تستحضر تلك العلاقة المجازية الاستعارية للمعنى حتى يأتي

ممتزجًا بتلوينٍ لفظيٍّ إيقاعيٍّ دلاليٍّ فتُحسبُ للمُنشئ الإبداعيّة، ويصفّقُ له السّامعُ شهادةً له بالتّقنيّة العالية والإبداع في رصف اللفظين في سياقٍ وحدٍ على نحوٍ يلفت الانتباه، في مستويات القول . التي ذكرنا . كافّة.

ولعلّ الذي نسبَ المُشاكلة الى المظاهر المجازية لم يبتعد عن الصواب، فهي ذات فاعلية بدلالتها الإيحائية المجازية من جهة، ممّا يتسنّى لنا دراستنا في ضمن موضوعات البيان لما بينها وبين الاستعارة من علاقة على المستوى الدلالي[٢٥]، ودراستها على أنها مظهرٌ إيقاعيٌّ صوتيٌّ صوابٌ أيضًا، على أنّها فنٌّ بديعيٌّ ينتسبُ في بنائه الفنّي الى ظواهر البديع المعنويّ . أو المحسّنات المعنويّة . كما نجدها فـــي كتب البلاغة اليوم قديمها وحديثها[٢٦]، وقد أكّد عبد العزيز قلقيلة نفي وقوعها في ضمن محسنات المعنى، وتسامح أن تكون من محسّنات اللفظ من جهة بنيتها اللغوية، مقررًا من خلال العرض والتحليل بالمثال والدليل، فيقول أنّها: ((أسلوب بيانيّ، مجاز لغويّ علاقته المشابهة، فإن كان ذلك فيها، وإلّا فهي بالمعنى اللغويّ لها محسنٌ لفظيّ))، وفسّر الشعر الذي ذكره البلاغيّون للمشاكلة تفسيرًا بيانيًّا خالصًا، مؤكّدًا في أثناء كلامه أنّ المشاكلةَ نمطٌ استعاريّ بنوعيه التصريحي والمكني[٢٧].

ولعلّ الصواب في الرّؤية الوسطيّة في أسلوب المشاكلة في الكلام، بوصفها مؤثّرًا بديعيًّا وبيانيًّا في الوقت ذاته، لما تحمله من إشارات وإيحاءات ذات طابع فاعل على المستويين الدلالي والصوتي، دون تفضيل او انحياز لأحدهما على الآخر في توازن دقيق، كما يوضح المخطط السهمي الآتي:

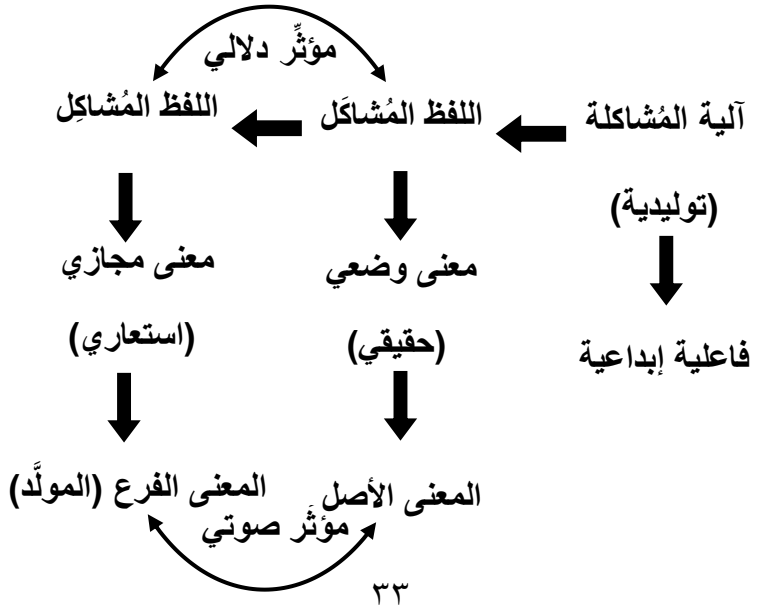

لنرَ تفسير ذلك في بيت عمرو بن كلثوم في الفخر بقومه[٢٨]:

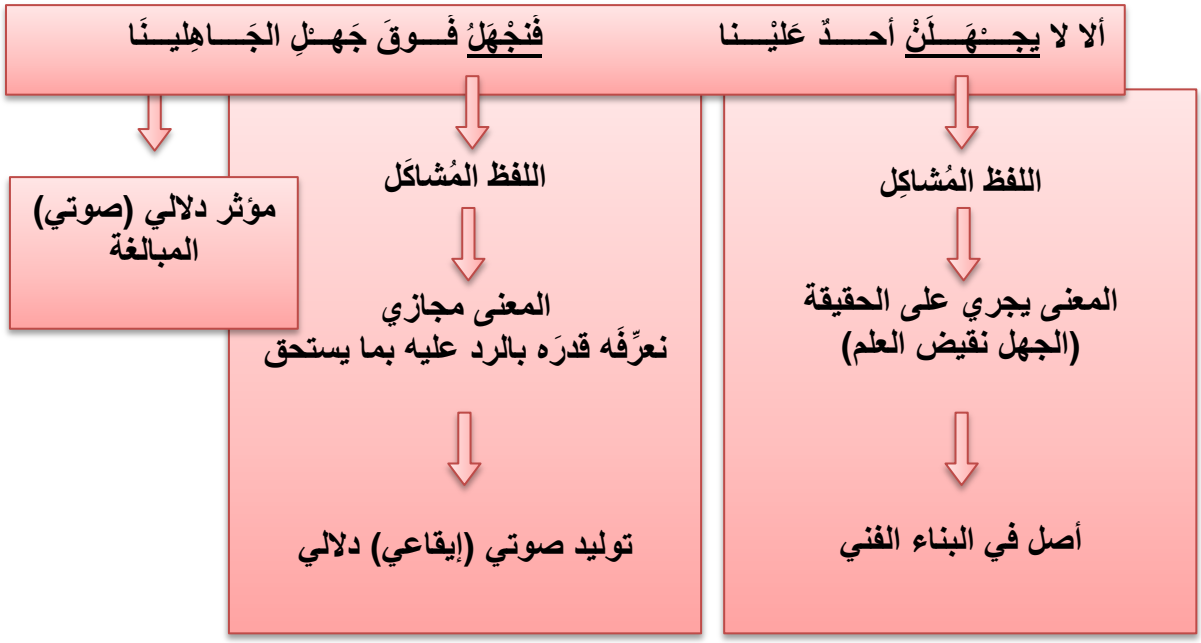

وبناءً على ما تقدم ذِكرُهُ فإن المُشاكلة أسلوبٌ فريدٌ يفسّر طبيعة التلاحم السياقي بين الدلالة والصوت على حد سواء.

فهي . أي المشاكلة . نمطٌ أسلوبيٌّ يقصدُ الانحراف (Deviation) أو العدول ، أو التغاير الذي يصاحبُ الدلالة السياقيّة للفظين المتماثِلين، فـ ((التحوّل الحاصل في التركيب بإعادة عنصر بنائه على نسقٍ مخالفٍ لما سبقَ ذِكرُهُ في السياقِ نفسِه))[٢٩].

ويُرسِخُ بعضُ المُحدثين معنى فاعلية المُشاكلة في السّياق الدلالي الصوتي على وفق رؤية أسلوبية ترى أن اللفظة المتردّدة تكرارًا في العبارة يكتمل معها الإيقاعُ الموسيقيّ الذي يولّدُ التّكرار الصوتي، ويمكن استبدال هذه المفردة بغيرها في المرّة الثانية، إلّا أن بقاءها أدعى وأوجب لتحقيق التماثل والتلاؤم في الشّكل والإيقاع، زيادة على أن معناها ما زال قادرًا على إثراء الكلام بالموضع الذي تردُ فيه اللفظة المتكررة تكرارًا يثير دهشة المُتلقي مُفعّلًا ملكة التأمل لديه[٣٠].

فعنصر المُباغتة . الذي تعكِسهُ لنا صورة المُشاكلة . هو سرُّ فاعليتها، وهو تطوّر سياقيّ ذو أثرٍ جماليّ خلابٍ في الشّكل والمضمون. وإنّ إدراج المُشاكلة في ضمن أنماط البديع المُشتركة بعلاقات التكرار اللفظي مع اختلاف المعنى . مثل الجناس التّام . هو ما يفسّر آلية التماثل بين بعض الفنون البديعية على وجه متناسب.

الخاتمة

يظهر لنا ممّا سبق أنّ المعنى الذي يحتمل الإيحاء والمجاز يشير الى التفخيم والمبالغة والشرف والكمال واستحضار المعادل الموضوعي في سياق البيت الشعري، وهذا ما يحصل عند توظيف المُنشئ أسلوب المُشاكلة في تعبيره عن القصد، ولعلّ الصّياغة اللفظية التي بُنيت عليها آلية المُشاكلة مع التكرير والمُغايرة الدلاليّة في القصد بين الكلمتين المُتشاكلتين، تجعلُ من المُشاكلة مظهرًا أسلوبيًا فنيًا مؤثّرًا في المُتلقّي تشدّهُ إليه، إذ يُنشِّط ذلك المعنى المُبتكر الإيحائي في أسلوب المُشاكلة عمليّة التصوير في الأذهان، ويبعث على التّأمل والتّفكّر بمدلوله على نحوٍ من التّداعي المُتناسب للمعاني المنسجمة مع رسالة الشاعر التي يروم توصيلها، خروجًا على مقتضى الظاهر والنّمطيّة في الخطاب، ممّا يُعزّز القول بـ (شعريّة المُشاكلة).[٣١]

ويزداد التخييل عمقًا في نوع المشاكلة التقديرية، التي تتضمن الخفاء للفظ المُشاكَل، إذ يُلمحُ تقديرًا في العقل والسّياق حتى يتمكّن من النّفس حقّ التمكن من خلال تأثيره الايحائي، بينما تتلاشى القيمة الايقاعية لهذا النوع لانعدام آلية التكرار اللفظي أو الترديد في سياقه، ولا بدّ من القول إنَّ بُعد المُنشئ عن التكلّف في استحضار اللفظ المُجانِس أو المُشاكِل هو ما يؤدّي الى حصول الأثر البليغ لكلٍّ منهما في السّياق حتّى يصل الشاعر الى حدّ أن يُوصَف بالإبداع ويُسمّى مُبدِعًا.

Abstract

Homonymy
Reading in the Arab rhetorical concept
An M.A. thesis derived paper
Keyworad:Technical quandary

Asst. Prof. Basim Mohammad Ibrahim Al Fahad (Ph.D)
University of Diyala, College of Education for Human Sciences،

Ra'id Ahmed Khalaf Kresh
General Directory of Education in Diyala

The following study which is entitled " ***Homonymy in Rhetoric: A Stylistic Study*"** discusses the stylistic characteristics of homonymy in both its types: emphatic and rhetorical. This phenomenon has appeared in poetry and orations. The study also discussed the impact of homonymy on the phonetic and semantic level. The study also investigated the profoundness in imagery and connotation

in rhetorical homonymy which relies on concealment and stimulating the minds of readers in reaching the intention of the context. The researcher tried to investigate the effectiveness of homonymy in Arabic especially in poetry.

Finally, rhetorical contextual study of homonymy is useful in presenting the meaning in clear signification and conveying expressiveness via homonymy.

الهوامش

١. ينظر لسان العرب، مادة (شَكَلَ).
٢. سورة طه: الآية ٥٨.
٣. مفتاح العلوم: ٥٣٣.
٤. جاءت نِسبةُ البيت إلى أبي صخرٍ الهُذليّ عند القزويني في (الإيضاح): ٤٧٨.
٥. ينظر المصباح المنير في علم المعاني والبيان والبديع: ٣٥٦؛ والمطوّل على التلخيص:٢٥٨/٢.
٦. الإيضاح:٣٤٨/٢.
٧. التحرير والتنوير:٧٤٤/١٠.
٨. ينظر: البلاغة الاصطلاحية: ٣٠٠.
٩. استقرّت دراسة المشاكلة على أنها من المحسنات المعنوية، ينظر البلاغة العربية في البيان والبديع،: ٧٩.
١٠. سورة المائدة: الآية ١١٦.
١١. فتح القدير: ١٢٤/٢٣.
١٢. ديوان عمرو بن كلثوم: ٧٨.
١٣. ديوان المتنبي: ١٤٨/١.
١٤. التحرير والتنوير: ٧٤٤/١.
١٥. البلاغة الاصطلاحية: ٤٦٤.
١٦. البلاغة العربية قراءة أخرى: ٢٣٩/٣.
١٧. ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣٩/٣.
١٨. ينظر: معاني القرآن، للفراء : ١١٦/١-١١٧.
١٩. تنظر: المشاكلة بين اللغة والبلاغة: ٦٤ -٦٧.
٢٠. ينظر: أبو عمرو بن العلاء وجهوده في اللغة والنحو: ٧٩.
٢١. الشيء لقربه منه، أو ملازمته إياه، فقد أُطلِق على المرأة (الظعينة)، وأصل الظعينة: الجمل يُظعن عليه، وسمّيت المرآة به لأنها تركبه في السّفر:٥٣.

٢٢. ينظر: الخصائص: ١/١١٣ – ١١٧.
٢٣. التكرير بين المثير والتّأثير: ٧٩.
٢٤. ينظر: البلاغة والأسلوبية: ١٨٩.
٢٥. عدّ الزركشيّ المشاكلة من المجاز، عندما قال عن الصورة الفنية للمشاكلة بأنّ ((تجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة الى مجازٍ آخر، فتتجوّز بالمجاز الأول عن الثاني لعلاقة بينهما)). البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٢٩٨.
٢٦. ينظر: البلاغة العربية في البيان والبديع: ٧٩–٨١.
٢٧. البلاغة الاصطلاحية: ٣٦٦.
٢٨. ديوان عمرو بن كلثوم : ٧٨.
٢٩. الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي: ٥.
٣٠. ينظر: البديع (تأصيل وتجديد: ١٠١.
٣١. الشعرية ((Poetics)): مصدرٌ صناعيّ يعني فنّ الشعر وأصوله، التي تشير الى الطاقة المتفجرة في الكلام المتميّز بقدرته على الانزياح والتفرد. ينظر: في المصطلح النّقدي: ١٥٢–١٥٣.

المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم.**

- **أبو عمرو بن العلاء وجهوده في اللغة والنحو**، زهير غازي زاهد، مركز دراسات الخليج، البصرة، ١٩٨٧.
- **أسرار البلاغة**، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، جدّة، السّعوديّة، ط١، ١٩٩١ .
- **الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي**، د. عبد الله علي الهتاري، دار الكتاب الثقافي، عمّان، الأردن، ٢٠٠٨ .
- **الإيضاح في علوم البلاغة**، القزويني (ت ٧٣٩هـ) تحقيق ابراهيم شمس الدّين، دار الكتب، بيروت، (د.ت) .
- **البرهان في علوم القرآن**، محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

- **البلاغة الاصطلاحية**، عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢.
- **البلاغة العربية في البيان والبديع**، د. سامي أبو زيد، جامعة الاسراء الخاصّة، ط١، ٢٠١١ .
- **البلاغة العربية قراءة أخرى**، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية لونجمان، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٧.
- **البلاغة والأسلوبية**، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ط٥، ٢٠٠٦.
- **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، (د.ط).
- **التّكرير بين المُثير والتأثير**، عزّ الدين علي السّيد، ط٢، دار الكتب، مصر، ١٩٨٦
- **التلخيص في علوم البلاغة**، للقزويني، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٩٣٧.
- **خزانة الأدب وغاية الإرب**، لابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ)، تحقيق محمد ناجي بن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط).
- **الخصائص**، لابن جنّي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
- **ديوان أبي الطّيب المتنبّي** بشرح أبي البقاء العكبريّ (ت ٦٠٦هـ) المُسمّى التّبيان في شرح الديوان ، ضبط نصّه وصحّحه د. كمال طالب، دار الكُتُب، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م.
- **ديوان عمرو بن كلثوم**، جمعه وحققه أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١.
- **فتح القدير**، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٨١.
- **في المصطلح النّقدي**، أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي، العراق، (د.ط)، ٢٠٠٢.
- **المشاكلة بين اللغة والبلاغة**، عبد الرحمن عبد القادر العربي، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ٢٠٠٢.

- **المطوّل على التلخيص**، شرح سعد الدين التفتازاني (ت٧٩١هـ)، مطبعة عامر ومطبعة أحمد كامل، القاهرة، ١٣٣٠هـ.
- **معاني القرآن**، للفراء أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، الدار المصرية للتأليف، مصر، ١٩٦٦.
- **مفتاح العلوم**، لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١١.
- **النّظرية الاستبدالية الاستعارية**، مجلة حوليات الآداب، جامعة الكويت، الحولية الحادية عشرة.